المجلة الأردنية للتاريخ والآثار

حملة الدمستق مليح الأرمني على الجزيرة الفراتية (ذو الحجة ٣٦١هـ/تشرين أول٩٧٢م - رمضان ٣٦٢هـ/حزيران/٩٧٣م) (جانب من العلاقات البيزنطية الإسلامية)

محمود محمد الرويضي*

ملخص

زادت الصراعات الإسلامية السياسية والطائفية في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، من أطماع الدولة البيزنطية في المنطقة؛ فقد أوكل الإمبراطور البيزنطي زيميسكس لقائده الدمستق مليح الارمني قيادة حملة بيزنطية إلى الجزيرة الفراتية في(ذي الحجة ٣٦١هـ/تشرين أول٩٧٢م) للسلب والنهب والقتل والأسر؛ الأمر الذي أدى إلى تهجير سكان المنطقة، ومطالبة بعضهم الخليفة والأمراء، القيام بواجباتهم تجاه المسلمين.

إن تكاتف حكام الموصل وسكان الجزيرة الفراتية والمتطوعة بمختلف مذاهبهم وأجناسهم، حال دون تحقيق حملة الدمستق أهدافها، فالحقوا به هزيمة نكراء، وتم أسره مع كبار قادته، وغنمهم المسلمون؛ فجردت الدولة البيزنطية حملة ثانية للانتقام، جسدت فيها فكرة الحرب الصليبية برفع الصليب راية للحملة.

الكلمات الدالة: حملة عسكرية، الدمستق مليح، الجزيرة الفراتية، العلاقات الإسلامية البيزنطية.

تمهيد

شهدت بلاد الشام والجزيرة الفراتية في بدايات النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي صراعات متعددة بين أتباع الدولة العباسية وأتباع الدولة الفاطمية. هذا فضلاً عن أطماع بعض أمراء المسلمين في تأسيس إمارة مستقلة لهم في المنطقة. فأمراء الدولة الحمدانية وأتباعهم أخذوا يستولون على المدن والقرى ويضمونها لإمارتهم في حلب[1] كما أخذ نفوذ القرامطة يظهر؛ فراحوا يستولون على بلدانها[2].

ولم تكن الخلافة العباسية نفسها في بغداد بحال يسمح لها أن تضع حداً لمثل هذه التجاوزات

---

* قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن. تاريخ استلام البحث ٢٠٠٨/٤/٢٧م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠٠٨/٩/١١م.

---

١. ابن الأثير، أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، ١١ج، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٧، ص٣٢١. سيشار إليه لاحقاً: ابن الأثير، الكامل.

٢. الدواداري، أبو بكر، عبدا بن أيبك (ت بعد ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، **كنز الدرر وجامع الغُرر (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية)**، ٨ج، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦١م، ج٦، ص١٢٥-١٣٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٦.

بسبب انشغالها بالخلافات بين الديلم والأتراك[٣]، الأمر الذي انعكس سلباً على سكان المنطقة، فقد انتشر قطّاع الطرق وعم الفساد والفوضى وغلت الأسعار في البلاد[٤].

ومما زاد الأمر سوءاً تنامي طمع أباطرة بيزنطة وقادتهم في المنطقة، حيث أصبح همهم الوحيد عند تولي قيادة جيوش بيزنطة، قصد مناطق الثغور الجزرية والشامية، والتوغل في حملاتهم إلى أعماق منطقة بلاد الشام والجزيرة الفراتية، مستغلين فرصة غياب القوات الإسلامية عن المنطقة[٥] وانشغال أمراء المسلمين وقادتهم بعضهم ببعض[٦].

وكانت حملات الإمبراطور نقفور[٧](Nicephaurs) (٣٥٢هـ/٩٦٣م-٣٥٨هـ/٩٦٩م) من أشد حملات بيزنطـــة على أراضي المسلمين[٨] إذ كان همه، قصد بلاد الشام والجزيرة الفراتية والاستيلاء عليها، "وتم له ما أراد باشتغال ملوك الإسلام بعضهم ببعض"[٩]، فكان "يقصد سواد البلاد فينهبه ويخربه فيضعف البلاد فيملكها"،[١٠]فاستولى على الثغور الجزرية والشامية، وسبى وأسر

---

٣. الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص١٦٧.

٤. الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص١٦٦؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٦٢٧.

٥. الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص١٥٧.

٦. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٠ . ابن العديم، عمر بن احمد (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ٢ج، دار الكتاب العربي، ج١،ص١٤٦ وما بعدها. سيشار إليه لاحقاً: ابن العديم: زبدة الحلب.

٧. نقفور (Nicephaurs) يشير ابن الأثير إلى أن نقفور لم يكن نصراني الأصل، وإنما ينحدر من أب مسلم من أهل طرسوس، يعرف بأبن الفقاس (باردا فوقاس) تنصر فيما بعد، وعرف نقفور بشجاعته وحسن تدبيره وهو من أسرة ارستقراطية عسكرية في آسيا، ويصفه متى الرهاوي بأنه كان رجلاً صالحاً تقياً يعطف على الفقراء والأرامل والأيتام، تولى قيادة القوات البيزنطية في الشرق، فعظم شأنه ونودي به إمبراطورا عن طريق الجيش البيزنطي في الشرق في كبادوكيا وتوج إمبراطوراً في كنيسة القديسة صوفيا يوم الأحد (٩٦٣/٨/١٦م)، ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٥؛ Matthieu, d'Eessa Chronicle, in Recueil des Historiens des Croisades-Documents Armeniens, Paris, 1869, Vol.1, p.4. ، ابن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت١٧٤هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، مصر، ج٤، ص٥٦؛ سيشار إليه: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، انظر: دونالد نيكول، أ. **معجم التراجم البيزنطية**، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٦٣.

٨. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٠؛ Matthieu, d'Eessa in R.H.C.-D. Arm. Vol.1, pp.4-5 الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص١٢٩- ١٣١؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١،ص١٤٨-١٥٦؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م) **العبر في خبر من غبر**، ٤ج، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج٢، ص١٠٢ وما بعدها؛ سيشار إليه فيما بعد الحنبلي: شذرات الذهب؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ٨ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص٢٧. انظر العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية،دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٧٢-٤٨٨. سيشار إليه لاحقاً: العريني: الدولة البيزنطية Schlumberger,Gustave:Un Empereur byzantin au dixieme siecle. Pares,1890, p.398-424, 708-728.Vasiliev,A.A,History of theByzantine Empire, 2Volume, second Edition University of Wisconsion, 1952, vol, 1. p.308 .Ostrogorsky,George, History of the Byzantine State, Translated by Joane Hussey,Basil Blackwell,Oxford,1968,pp.290-291

٩. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٠.

١٠. المصدر نفسه، ج٧، ص٣٢٠.

ما لا يحصر من سكانها حتى خشيه المسلمون، ولم يشكوا في أنه سائر إلى ملك الشام والجزيرة ومصر وديار بكر[١١].

ويبدو أن النتائج التي حققتها حملات نقفور في الشرق، دفعت أباطرة بيزنطة وقادتها كي ينهجوا سياسة الفتوحات في بلاد الشام والجزيرة الفراتية بهدف استعادة أمجاد الإمبراطورية البيزنطية في الشرق، مستغلين " تقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان... وكثرة الرفض والتشيع، وقهر أهل السنة بينهم، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من البلاد إلى بلاد، فلا يبيتون ليلة إلا في خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشرور المترادفة "[١٢].

*حملة الدمستق مليح الأرمني على الجزيرة الفراتية

يبدو أن نتائج حملات الإمبراطور نقفور في الشرق، دفعت الإمبراطور زيميسكس[١٣] (Zimisces)(٣٥٨هـ/٩٦٩م-٣٦٥هـ/٩٧٦م) الذي تولى عرش بيزنطة بمؤامرة دنيئة[١٤]، وقادته

---

١١. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٠ Matthiu d'Edessa. In R.H.C-D.Arm,Vol.1,P. 4-5

١٢. ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) **البداية والنهاية**، ١٤ج، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٥م، ج١١، ص٢٤٣. سيشار إليه لاحقاً: ابن كثير: البداية والنهاية.

١٣. يوحنا زيميسكس، وتنعته المصادر الإسلامية يانس بن الشمشقيق (Zimisces) (الشميشق/ Tzimiskes) وهي كلمة ارمنية ، تعني قصير القامة. ينحدر من أصل ارمني من مدينة منبج الواقعة ضمن المقاطعة الأرمنية الرابعة، وكانت تعرف باسم كشميسي شحدزاك مسقط رأسه قرب ملطية، وقد استمد اسمه من اسمها، وكان يشغل منصب الدمستق قائد القوات البيزنطية في الشرق قبل اغتصابه عرش الإمبراطورية من نقفور فوقاس(٩٦٣هـ/٩٦٩م)، الذي كان قد جرده من منصبه الدمستق وأسره أثر الوشايات التي انتشرت عنه؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٠ d'Edessa In R.H.C-D.Arm, Matthieu Vol.1,P.5-7 . ؛ابن **العبري**، أبو الفرج جمال الدين (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) **تاريخ الزمان**، **ترجمة** الأب إسحق أرمله، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص٦٦-٦٧؛ سيشار إليه لاحقاً: ابن العبري: تاريخ الزمان. أبو الفداء، إسماعيل بن علي(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) **المختصر في أخبار البشر**، تحقيق محمود ديوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٤٥؛ سيشار إليه لاحقاً: أبو الفدا: المختصر. ابن الوردي، زين الدين عمر(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، **تتمة المختصر في أخبار البشر(تاريخ ابن الوردي)**، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩م، ج١، ص٤١٠، انظر دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية ، ص١٠٩.

١٤. بعد أن أطلق سراح زيميسكس من الأسر تآمر مع تيوفانو Theophano زوجة نقفور لقتل زوجها الإمبراطور، فقتله بمؤامرة دبرت بإحكام، واعتلى عرش الإمبراطورية، انظر التفاصيل Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1,P.5-7 ؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢١؛ ابن **العبري**، **تاريخ الزمان**، ص٦٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٥٥؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٠؛ الذهبي، محمد بن أحمد(ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، حوادث ووفيات(٣٥١-٣٨٠)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، سيشار إليه لاحقاً: ابن خلدون: العبر. ص٤٥؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٨٥هـ/١٤٦٩م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ٧م، ط٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٨م، م٤، ص٥٢٥.

Schlumberger: Un Empereur byzantin, p746-751. Ostrogorsky, George, History of the Byzantine, pp.293-294.

في الشرق إلى أن ينهجوا سياسة نقفور في الفتوحات في منطقة بلاد الشام والجزيرة الفراتية وثغريها، مع أن الإنطاكي[١٥] (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٧م) يشير إلى أن زيميسكس كان منهمكاً في حروبه مع البلغار في الغرب، إلا أنه غير وجهة حروبه إلى الشرق الإسلامي، وقصد مناطق الثغور الشامية والجزرية في شهر (ذي الحجة ٣٦١هـ/تشرين الأول٩٧٢)[١٦].

وتخلط المصادر حول قيادة هذه الحملة، فجلها ينسب بطولات أحداثها إلى الإمبراطور البيزنطي زيميسكس، وإن لم يفصح بعضها عن اسمه[١٧]، بينما يذهب المؤرخ الأرمني متى الرهاوي[١٨] (ت حوالي ٥٣٩هـ/١١٤٤م) إلى أن قائـدها كان الدمسـتق[١٩] (Domesticus) مليح الأرمني[٢٠] قائد القوات البيزنطية في الشرق بحكم وظيفته التي كان يتولاها ، برتبة دمستق.

ويتبين- بتتبع أحداث الحملة بين طيات المصادر- أنها كانت بقيادة زيميسكس وبرفقته الدمستق مليح، وبعد عدة انتصارات أولية حققاها معاً في مناطق الثغور والجزيرة الفراتية عاد الإمبراطور زيميسكس إلى القسطنطينية، وأوكل مهمة قيادة الجيوش البيزنطية للدمستق لاستكمال الفتوحات في المنطقة، وهذا ما يؤكده الإنطاكي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٧م) في تاريخه[٢١].

بينما تذهب المصادر العربية إلى أن بدايات أحداث الحملة كانت بقيادة الإمبراطور زيميسكس، ولكنها تفصل بين الأحداث التي قام بها الإمبراطور بمشاركة قائده الدمستق عام (٣٦١هـ/ ٩٧٢م) وبين ما قام به الدمستق نفسه منفرداً من فتوحات في الجزيرة الفراتية عام (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م) بعد أن كلفه الإمبراطور بمتابعة الفتوحات في المنطقة[٢٢].

والواضح أنها حملة واحدة بدأها الإمبراطور، وبرفقته الدمستق مليح، وانتهت بقيادة الدمستق، ويبدو أن هذا الخلط دفع المؤرخ الأرمني متى الرهاوي بدافع حدة مشاعره القومية أن ينسب جميع

---

١٥. الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى(ت ٤٥٨هـ/١٠٦٧م)، **تاريخ الأنطاكي**، المعروف بتاريخ أرتيخا، تحقيق عمر تدمري، جروس برس، بيروت، ١٩٢١م، ص١٤٨. سيشار إليه لاحقاً: الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي.

١٦. المصدر نفسه، ص١٤٨.

١٧. انظر ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨؛ ابن خلدون، م٤، ص٥٥٧.

١٨. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1,p. 7 متى الرهاوي، ارمني الأصل من مواليد مدينة الرها ، شغل فيها منصب أحد اديرتها، استغرق عمله في تأليف حوليته أكثر من خمسة عشر عاما، (ت ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) وقت اجتياح عماد الدين زنكي مدينة الرها الصليبية، أنظر Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1,P.2-3.

١٩. الدمستق (Domesticus) مصطلح لاتيني، كان يطلق على قائد القوات البيزنطية المقيمة شرق خليج القسطنطينية،وهو مسؤول عن اثني عشر بطريقا ،ويعتبر الدمستق خليفة الإمبراطور ووزيره وكاتبه. . الخوارزمي،أبو عبدا محمد بن أحمد بن يوسف(ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، **مفاتيح العلوم**، تحقيق نهى النجار، دار الفكر اللبناني ، بيروت ،١٩٩٣م، ص١٥٨. سيشار إليه لاحقاً: الخوارزمي: مفاتيح العلوم. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٠؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٠.

٢٠. مليح الكبير، ارمني الأصل، تولى منصب الدمستق، قائداً للقوات البيزنطية في عهد الإمبراطور البيزنطي زيميسكس. تاريخ ابن خلدون، م٤، ص٥٢٧، Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1,P. 7

٢١. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨.

٢٢. سيتم توضيح هذا الأمر من خلال سرد الأحداث التالية.

انتصارات هذه الحملة إلى الدمستق مليح الكبير، لأن أصوله أرمنية،[٢٣] فضلاً عن كراهيته للإمبراطور زيميسكس التي تبدو واضحة أثناء حديثه عن اغتيال الإمبراطور نقفور[٢٤] ليخالف جميع المصادر الأخرى، مع أنه يعود ويتفق معها في الأحداث التي حدثت عام (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م) بقيادة الدمستق في ديار بكر.

ويذكر متى الرهاوي أن الدمستق مليح قد حقق عدة انتصارات على المسلمين في مواقع عدة من مناطق الثغور الشامية والجزرية دون أن يحدد هذه الأماكن، ويرجع هذه الانتصارات إلى مساعدة السيد المسيح لقوات الدمستق[٢٥].

ويعود اهتمام متى الرهاوي بالدمستق إلى أصوله الأرمنية لدرجة أنه أطلق عليه قائد الرومان[٢٦] (Horomk). والواقع أن الإمبراطورية البيزنطية كانت تعتمد على الأرمن للعمل في بلاطها، وقد استطاع بعضهم أن يتولى مراكز مهمة[٢٧].

ويذكر الإنطاكي في تاريخه أن الإمبراطور زيميسكس عبر الفرات من ناحية ملطية[٢٨] في شهر (ذي الحجة ٣٦١هـ/أيلول ٩٧٢م)،[٢٩] ولم يشر إلى السيطرة عليها، بينما يشير متى الرهاوي إلى أن تمت محاصرتها، وقطعت عنها الميرة والماء، وشدد الحصار عليها، حتى نفدت جميع قواها، مما اضطر سكانها للاستسلام، وينسب هذه الانتصارات للدمستق،[٣٠] ولم يأت على ذكر للإمبراطور زيميسكس، ويبدو أن الإمبراطور خاف الدمستق محاصراً لمدينة ملطية خشية من طول مدة الحصار التي أشار إليها متى الرهاوي[٣١] نفسه، ولأن أمر حصار المدينة لا يحتاج لكل القوات البيزنطية، ولعل الإمبراطور كان يعلم بتحصيناتها وقوتها، وبخاصة أنه كان يعيش فيها قبل أن يتولى أمر الإمبراطورية[٣٢].

لقد عبر الإمبراطور الفرات إلى ديار مضر، كما هو واضح في الشكل (١) فأغار على

---

23. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, pp.7-8.
24. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p.5
25. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 7
26. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p.5-7
27. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 7

٢٨. ملطية: بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء وتخفيف الياء، والعامة تقول بتشديد الياء وكسر الطاء، تعود في بنائها إلى عهد الاسكندر، وهي بلدة من بلاد الروم مشهورة تقع على حدود الشام على نهر الفرات، ياقوت بن عبدا الحموي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٥، ص١٩٢-١٩٣.

٢٩. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨.

30. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 7
31. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 7

٣٢. ميخائيل السرياني، مار(٥٩٥هـ/١١٩٩م) بطريرك انطاكيه، **تاريخ مار مخائيل الكبير**، ترجمة مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين، ط١، حلب، ١٩٩٦م، ص٩٩. سيشار إليه لاحقاً: السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني.

الرها[٣٣]ونواحيها، فغنم وسبى وأحرق الأراضي،[٣٤]ثم غادرها إلى ديار ربيعة، ووصل إلى مدينة نصيبين،[٣٥] ودخلها يوم السبت (١ محرم ٣٦٢هـ/١٠/١٢/٩٧٢م) بقوة السيف، بعد أن

استباح سكانها من المسلمين،[٣٦] وأهل الذمة،[٣٧] على حد سواء، واستقر فيها كما يؤكد الإنطاكي في تاريخه[٣٨].ويبدو أن الدمستق بعد إنجاز مهمته في الاستيلاء على ملطية، لحق بالإمبراطور في نصيبين، وبأمر من الإمبراطور، أخذ يسلب وينهب ويدمر المنطقة لمدة (٢٥) يوماً[٣٩].

---

٣٣. الرها، بضم أوله، والمد، والقصر، مدينة بالجزيرة الفراتية من ديار مضر بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ واسمها بالرومية أذاسا Edessa بنيت في حفرة واد مفتوح نحو الجنوب والشرق في لحف الجبل المقدس الذي تكثر فيه الأديرة، يشرف على سهل ممتد نحو الجنوب حتى يتصل بأرض حران، ويجري الفرات إلى الشمال منها على بعد ٤٤كم وإلى الغرب منها على بعد ٨٨كم.ابن حوقل، محمد بن علي(ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) صورة الارض،ط٢،دار مكتبة الحياة،بيروت،١٩٧٩م،ص٢٠٤. انظر ياقوت، **معجم البلدان**،ج٣، ص١٠٦؛ ابن شداد، محمد بن علي(٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق يحيى عبارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م، ج٣، ق١، ص٨٥-٨٦، سيشار إليه لاحقاً: ابن شداد الأعلاق الخطيرة؛ انظر الرويضي، محمود، **إمارة الرها الصليبية**، مطبعة البهجة، ٢٠٠٢م، ص٩٥.

٣٤. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩،انظر: تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٣٦١؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٤١١؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧١؛ تاريخ ابن خلدون، م٤، ص٥٢٧؛ القلقشندي، أحمد ابن علي (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م)، **مآثر الانافة في معالم الخلافة**، تحقيق عبدالسلام أحمد فراج، ٤ج، وزارة الإرشاد والبناء، الكويت، ١٩٦٤م، ج١، ص٣٠٦. سيشار إليه لاحقاً: القلقشندي: مآثر الأناقة.

٣٥. نصيبين: بالفتح ثم الكسر ثم ياء علامة الجمع: مدينة عامرة من ديار ربيعة وهي قصبتها من بلاد الجزيرة، تقع على طريق القوافل بين الموصل والشام تكثر فيها البساتين، بينها وبين الموصل مسير ستة أيام، تحاط بسور، ابن حوقل، صورة الارض،ص١٩١؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢٨٨؛ ابن شداد، **الأعلاق** الخطيرة، ج٣، ق١، ص٥، ١٢٤.

٣٦. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨؛ الهمذاني، محمد بن عبدالملك (ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، **تكملة تاريخ الطبري**، تحقيق البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، ط١، بيروت، ١٩٥٨م، ص٢١٠؛ سيشار إليه لاحقاً: الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري؛ الصابئ، أبو اسحق إبراهيم بن هلال(ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) **المختار من رسائل أبي اسحق إبراهيم بن هلال**،نقله وعلق عليه الأمير شكيب ارسلان،دار النهضة الحديثة، بيروت،ص٧٠؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج١٤، سيشار إليه لاحقاً: ابن الجوزي: المنتظم؛ ص٢١٤؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف القزأوغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م): **مرآة الزمان** في تاريخ الاعيان ، حوادث ٣٣٥-٤٤٧هـ، تحقيق جنان الجليل، الدار الوطنية، بغداد١٩٩٠م، ص١٧٦؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٦٥. ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٣، ص٣٩؛ Ostrogorsky, History of the Byzantine, p.297.

٣٧. الصابئ، **المختار**، ص٧٠.

٣٨. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨؛ الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١٠؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ ابن الجوزي، **المنتظم** ج١٤، ص٢١٤؛ تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٤١١؛ الذهبي، **العبر**، ج٢، ص١١٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٥١-٣٨٠) ص٢٤٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٣، ص٣٩؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، م٤، ص٥٢٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٦٥.

٣٩. الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١٠؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٦ ؛ ويقول ابن **العبري** (٢٢) يوماً؛ ابن **العبري**، **تاريخ الزمان**، ص٦٧؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤، ص٢١٤.

وكانت ديار ربيعة تتبع آنذاك إلى أبي تغلب بن حمدان،[٤٠]عاملا عليها[٤١] لأمير المؤمنين المطيع ،[٤٢] ولم يكن لديه المقدرة على مواجهة قوات الإمبراطور، وقائده الدمستق، ولذلك لم يحاول أن يصدهم عن إثارة الفوضى والسلب والنهب في بلاده، وإنما رأى أن يهادنهم ويسايسهم، فتقرر الأمر على عقد هدنة ومال يحمل إليهما في كل سنة[٤٣] ويشير الإنطاكي في تاريخه إلى أن أبا تغلب دفع مقدماً مستحقات سنة من المال[٤٤]، ولعل ذلك كان شرط الإمبراطور؛ وإن لم تفصح المصادر عنه، ولكي يتقي شر القوات البيزنطية.

وخرج الإمبراطور بقواته من نصيبين إلى ديار بكر، ولم يكن نصيبها من السلب والنهب والدمار وإحراق الأراضي بأفضل حالاً من ديار ربيعة وديار مضر، ولعل سبب توغل القوات البيزنطية في الجزيرة الفراتية، وطمعها في أراضيها، غياب القوات الإسلامية عنها[٤٥].

ثم توجه الإمبراطور وقائده الدمستق إلى مدينة ميافارقين،[٤٦]على أمل أن تسلم له المدينة، غير أنه لم ينل مبتغاه[٤٧]، فاضطر للتراجع إلى دياره بعد أن حصل على مآربه من حملته، وأدرك أن حملته قد حققت ما كان يصبو إليه من الانتصارات، وبخاصة أنه كان مشغولاً في حروبه مع البلغار في

---

٤٠. أبو تغلب فضل ا الغضنفر بن ناصر الدولة بن الحسن بن عبيدا بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن نعمان التغلبي ووالده شقيق سيف الدولة أبناء الأمير أبي الهيجاء تولى إمارة الموصل (٣٥٦هـ/٩٦٧م) توفي (٣٦٩هـ/٩٧٩م)، ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان** وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج٨، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م، ج٢، ص١١٤، ١١٦، ١١٧؛ سيشار إليه لاحقاً: ابن خلكان: وفيات الأعيان؛ الذهبي، محمد ابن أحمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٣، مؤسسة الرسالة، ط٩، بيروت، ١٤١٣هـ ، ج١٦، ص١٨٦-١٨٧، ٢٤٣، ٣٠٦.

٤١. الصابئ، **المختار**، ص٦٩. ابن حوقل، صورة الارض،ص١٩٣

٤٢. المطيع ، أبو القاسم الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد، لقب بالمطيع ، بويع بالخلافة عام (٣٣٤هـ/ ٩٤٣م)، مرض المطيع بالفالج فدعا سبكتكين الحاجب وعزل نفسه وبايع ابنه الطايع بالخلافة سنة (٣٦٣هـ/ ٩٧٤م)، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٥، ص١١٣-١١٧.

٤٣. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٦ ؛ انظر: الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١٠؛ تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧١؛ ابن خلدون، العبر، م٤، ص٥٢٧.

٤٤. تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨.

٤٥. ابن خلدون، العبر، م٤، ص٥٢٧؛ ويذكر الدواداري أنه أسر أكثر من مئة ألف أسير، الدواداري، **كنز الدرر**، ج٦، ص١٥٧.

٤٦. ميافارقين: أشهر مدن وأمهات أمصار ديار بكر من الجزيرة الفراتية بالقرب من مدينة آمد قصبة ديار بكر، يتبع لها مجموعة من القرى والبساتين والضياع والحصون منها ما هو روماني ومنها ما هو محدث في العهد الإسلامي، ابن حوقل، صورة الارض،ص٢٠٢، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢٣٥-٢٣٨؛ ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج٣، ق١، ص٢٤٦-٢٥١؛ انظر

Elisseff, Nikita-Nur-Ad-Din un grand Prince Musulman de syrie au temps des Croisades, 3 Vol. Damas, 1967, Vol.1, p. 138.

٤٧. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٣؛ تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٤١٣..Ostrogorsky , History of the Byzantine,p.297.

الغرب، ولذلك استناب عنه في قيادة القوات البيزنطية الدمستق مليح[٤٨]، وجعله يتخذ من مدينة هنزيط[٤٩] قاعدة له، للانطلاق منها بحملاته على ديار بكر[٥٠]، ويبدو أن الإمبراطور كان يعلم مدى أهمية موقع هنزيط العسكري، ومدى تأثيره على المنطقة في ديار بكر، بحكم إقامته في المنطقة ومعرفته بجوارها وبأهميتها من قبل[٥١].

شكل (١) خارطة خط سير حملة مليح الارمني

٤٨. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨. كان يشكل البلغار والروس تحالفا قويا استطاعوا من خلاله السيطرة على ممرات جبال البلقان المؤدية الى دروب بيزنطة، واتخذوها قاعدة لتهديد اراضي الدولة البيزنطية ، فجهز زيميسكس جيشا من ابناء النبلاء وخيرة قوات بيزنطة وقصد بهم عاصمة ملوك البلغار بريسلاف فستولى عليها بعد معركة فاصلة، واخذ يطارد قوات التحالف البلغاري الروسي نحو الشمال من الدانوب للقضاء على حركات التمرد التي يقومون بها واخضاعهم للسيادة البيزنطية.

Schlumberger: L'Epope'e Byzantine, 3Vols,.paresVol,1, p34-110. Schlumberer, Gustave, Recits de Byzance et des croisades, Libraire plon les petits, paris.1919, p20-29. Ostrogorsky, History of the Byzantine, p.295-296.

٤٩. هنزيط: بالكسر ثم السكون: موضع من مناطق الثغور من بلاد الروم بالقرب من مدينة عرقة وسميساط ومرعش، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٤١٨؛ البكري، عبدا بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، ج٤، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م،ج٣، ص٩٣٤، ج٤، ص١٣٥٥. سيشار إليه لاحقاً: البكري: معجم ما استعجم.

٥٠. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٨-١٤٩.

٥١. السرياني، تاريخ ميخائيل السرياني، ص٩٩.

- **أوضاع سكان الجزيرة الفراتية واستنفارهم أهل بغداد بعد غزو القوات البيزنطية أراضيهم.**

أدى الوضع الذي آل إليه سكان الجزيرة الفراتية جراء السلب والنهب وحرق الأراضي والدمار الذي ألحقته القوات البيزنطية في ديارهم، إلى عامتهم وخاصتهم يخرجون إلى بغداد، يستنفرون سكانها وحكامها[٥٢]، وأخذت الكتب تتوافد إلى بغداد تشرح الحال الذي آل إليه المسلمون في الجزيرة الفراتية[٥٣].

لقد أورد الصابئ(ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م) الذي كان يعمل رئيسا لديوان الرسائل في بغداد، رسالة أشار فيها إلى تفاصيل غزوة الدمستق وأسره[٥٤]، فأشار قائلا: إن أبا تغلب أرسل إلى الخليفة المطيع يستنجده ويستصرخه ويلتمس مده بالجيوش، وأوضح المشقة التي أصبح عليها المسلمون في المنطقة[٥٥]. وأكد في الرسالة أن القوات البيزنطية تدرك مدى الفترة التي يحتاج إليها المسلمون لنجدة أخوانهم في الجزيرة الفراتية ، الأمر الذي جعلهم يتوغلون في أراضي المسلمين ويتمادون في السلب والنهب[٥٦]. وأرسل برسالة أخرى إلى الملك عز الدولة بختيار ابن معز الدولة بن بويه،[٥٧] يشرح له فيها الحال[٥٨].

وقد أثارت أفعال القوات البيزنطية مخاوف سكان الموصل، فانضموا إلى سكان المدن والقرى والضياع المتضررة، وساروا إلى بغداد لحث سكانها وحكامها وتجارها على الجهاد، وتحريك عواطف الحكام والعامة[٥٩].

وأخذ سكان الجزيرة الفراتية بعد وصولهم إلى بغداد، يحرضون سكانها، وينوهون بمخاطر استيلاء القوات البيزنطية على مدن وقرى الجزيرة الفراتية، وبخاصة الموصـــل ، حيث يعتبر استيلاؤهم عليها بمثابة المفتاح والطريق الذي يوصلهم إلى بغداد[٦٠].

جمعت الألفة بين سكان الجزيرة الفراتية والعامة من أهل بغداد، فاجتمعوا على تحقيق

٥٢. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤، ص٢١٤؛ انظر: مسكويه، أحمد بن محمد (٤٢١هـ/١٠٣٠م)، **تجارب الأمم**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج٢، ص٣٠٣؛ سيشار إليه لاحقاً: مسكويه: تجارب الأمم؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٥١- ٣٨٠)، ص٢٤٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م٤، ص٥٢٧.

٥٣. ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٣؛ ابن خلدون، **العبر**، م٤، ص٥٢٧.

٥٤. الصابئ، **المختار**، ص٩.

٥٥. المصدر نفسه، ص٦٩.

٥٦. المصدر نفسه، ص٦٩-٧٠.

٥٧. بختيار: أبو منصور بختيار الملقب عز الدولة بن معز الدولة بن أحمد بن بويه الديلمي، تولى ملك أبيه سنة (٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) واستمر حتى مات سنة(٣٦٧هـ/ ٩٧٨م)، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص١٦٧-٢٦٧؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٥، ص١١٦.

٥٨. الصابئ، **المختار**، ص٧٠.

٥٩. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٩؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٦ ؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج٣، ص٣٩.

٦٠. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ انظر: مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٣؛ ابن خلدون، **العبر**، م٤، ص٥٢٧.

مصالحهم المهددة باجتياح القوات البيزنطية أراضيهم،" فاستنفروا في الجوامع وكسروا المنابر، ومنعوا الخطبة"،[٦١] وهاجموا دار المطيع ، واقتلعوا بعض شبابيكها "وخاطبوه بما نسبوه إلى العجز عن ما أوجبه ا على الأئمة وأفحشوا القول "[٦٢].

ويشير الصابئ أن الخليفة قلق للوضع الذي آل إليه سكان الجزيرة الفراتية، فأرسل يستقدم الملك عز الدولة بختيار والجيوش التي كانت برسمه، ويحثه على نجدة أبي تغلب وسكان الجزيرة الفراتية[٦٣]. ولعل استجابة عزالدولة بختيار لم تكن إلا تخميدا لمشاعر العامة واسترضاء الخليفة، وامتثالا لأوامره[٦٤].

أما وجهاء وعلماء[٦٥] بغداد، فقد قصدوا الملك عزالدولة بختيار بن معز الدولة، وكان برحلة صيد في نواحي الكوفة، فاستغاثوه بعد أن أنكروا عليه انشغاله بالصيد، ومقاتلة المسلمين الخارجين عن طاعته، بدلاً من تدبير أمور المسلمين، ولاموه على ترك الجهاد ضد القوات البيزنطية التي تجوب البلاد الإسلامية، تُفسد فيها، وطالبوه بالتحرك لوضع حدٍ لتوغل البيزنطيين في أراضي المسلمين[٦٦].

ويبدو أن تأنيب وجهاء وعلماء بغداد الملك عزالدولة بختيار، أثر في نفسه، فوعدهم بتجهيز الجيوش وتأمين الثغور، والرجوع إلى بغداد لتجهيز القوات وغزو أراضي الدولة البيزنطية،

---

٦١. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤، ص٢١٤؛ الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١٠؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٣-٣٠٤؛ الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ص١٧٦ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٣، ص٤٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٦٥؛ الذهبي، **العبر**، ج٢، ص١١٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٥١-٣٨٠)، ص٢٤٧.

٦٢. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤، ص٢١٤؛انظر مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٣-٣٠٤؛ الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٤٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٦ ؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات**، ج٣، ص٤٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٦٥؛ الذهبي، **العبر**، ج٢، ص١١٢؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٣٥١-٣٨٠)، ص٢٤٧.

٦٣. الصابئ، **المختار**، ص٧٠.

٦٤. المصدر نفسه، ص٧٠.

٦٥. وكان منهم الإمام أبو بكر الرازي الفقيه أحمد بن علي، توفي (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) وأبو القاسم الداركي، عبدالعزيز بن عبدا بن محمد الفقيه الإمام، وأبو الحسن علي بن عيسى النحوي (ت٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) وابن الدقاق، محمد بن محمد بن جعفر (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤، ص٣٦٢ ؛ الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١٠؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٧ ؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٣٥١-٣٨٠)، ص٢٤٧ .

٦٦. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ انظر الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١٠؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٦-١٧٧؛ تاريخ الأنطاكي، ص١٤٩؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٤؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤، ص٢١٤؛ ابن **العبري**، **تاريخ الزمان**، ص٦٧؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٣٥١-٣٨٠)، ص٢٤٧؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهر**، ج٤، ص٦٥.

فأرسل إلى الحاجب سبكتكين،[٦٧] يأمره بتجهيز الجيوش واستنفار من يرغب من العامة في الجهاد لمواجهة القوات البيزنطية[٦٨]؛ ويبدو أن مكاتبات أبي تغلب آتت أكلها، فقد كتب الملك عز الدولة بختيار إلى أبي تغلب بن حمدان أمير الموصل يعلمه بعزمه على الجهاد، ويأمره بتجهيز ما يتوجب عليه من الميرة والأعلاف، لتقديمها للقوات الإسلامية، فانصاع أبو تغلب لأمره وعبر عن فرحته ورضاه بتجهيز ما طلب منه[٦٩]، مع أنه كان يعلم بأن الملك عزالدولة بختيار" لا يفي بوعد ولا وعيد وأنه يقول ولا يفعل"[٧٠].

ويذكر مسكويه(ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) أن الحاجب سبكتكين استجاب للأمر استجابة المنافق[٧١]. لأنه كان متعصباً للأتراك المنضمين للعامة من أهل بغداد[٧٢]. ويؤكد الإنطاكي أنه بعد استنفار العامة أرسل إليهم من يحرضهم على إشهار أسلحتهم ويسيروا في أسواق بغداد، بحجة إشهار قوة المسلمين ليبلغ القوات البيزنطية حشود المسلمين، والقوة التي سيواجهونهم بها[٧٣]، وقد بلغ عدد الشباب المدججين بالسلاح من العامة زهاء ستين ألف رجل[٧٤].

ويشير الصابئ إلى أن الملك عز الدولة بختيار، امتثل لأمر أمير المؤمنين في نجدة أبي تغلب، فحشد " جمع كثيف من الرجال الذين يصلحون للقاء الروم وبالأبطال المختارة من طوائف الأعراب والأكراد، فتوافت هذه الجموع إليه، وتكاثرت لديه"[٧٥]،وكان بنيتهم الزحف إلى القوات البيزنطية، واضعين النصر نصب أعينهم، وهم يحملون شعار أمير المؤمنين[٧٦]

وأظهر سبكتكين سلاحا عظيما وآلات للحرب، وركب معه الأمراء والقادة، وساروا في أسواق وشوارع بغداد،[٧٧] يستعرضون قواتهم فكان يوماً عظيماً[٧٨]، لكنه لم يستطع توحيد صفوف العامة

---

٦٧. سبكتكين: أبو المنصور الحاجب التركي مولى المعز الديلمي وحاجبه، لقبه المطيع نور الدولة، قاده الطائع السلطة قبل ناصر الدولة وكانت مدة إقامته فيها شهرين وثلاثة عشر يوماً توفي (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٨٢.

٦٨. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٤؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤، ص٣٦٢؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٨؛ تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٤١١ ؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٢؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٦٥.

٦٩. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٩؛ انظر :مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٤-٣٠٥؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧١؛ تاريخ ابن خلدون، م٤، ص٥٢٧.

٧٠. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٤..

٧١. المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٤.

٧٢. المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٦؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٣٧٥.

٧٣. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٥٠. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٨ .

٧٤. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٥٠.

٧٥. الصابئ، **المختار**، ص٧٠.

٧٦. المصدر نفسه، ص٧٠.

٧٧. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي ، ص١٥٠؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٥. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٨ .

٧٨. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٥.

ويجعلهم تحت رياسة واحدة[٧٩].

ولم يدم وضع العامة طويلاً، فقد عم الفساد والفوضى أسواق وشوارع[٨٠] الجانب الغربي من بغداد " وجرأت العامة على إظهار السلاح، وقلة هيبة منهم للملك، لإظهار حاجته إليهم والاعتضاد بهم"[٨١]، وأخذوا يتحزبون وينقسمون على أنفسهم، فقد انضم الأتراك إلى العامة،[٨٢] حيث يمثلون السنة، والديلم يمثلون الشيعة[٨٣]. "فاظهروا ضروبا من العصبية، وانشغلوا عن التجهيز لمواجهة القوات البيزنطية في مقاتلتهم بعضهم بعضاً في شوارع بغداد، وأسواقها، حتى عجز الملك عن ردعهم وضبطهم، وأخذوا يعيثون في الأرض فساداً، ويقطعون الطرق، ويسلبون الناس جهراً في النهار، ويعتدون على التجار ومنازلهم، ويسلبون دكاكينهم، فساءت أحوال الناس، وتعطلت الأسواق، وتقطعت السبل بهم"،[٨٤] وبخاصة بعد أن فتح العامة السجون وأطلقوا سراح من فيها، ليعيثوا فساداً في بغداد[٨٥].

واتخذ العيارون[٨٦] من الفوضى والفتنة التي عمت بغداد أسلوب حياة، ولم يعد يأمـن أحد من أهل بغداد على نفسه وماله معهم،[٨٧] فكثر "رؤساءهم... في كل محلة عدة رؤساء من العيارين، يحامون على محلتهم، ويجبون الأموال، ويحاربون من يليهم، متحاقدون يغزون بعضهم بعضاً"[٨٨].

---

٧٩. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٥٠.
٨٠. المصدر نفسه، ص١٥٠.
٨١. المصدر نفسه، ص١٥٠؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٥.
٨٢. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٥٠؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧١.
٨٣. تاريخ الأنطاكي، ص١٥٠؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٥؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٨. ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧١.
٨٤. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٥٠؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٥؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٠.
٨٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٦.
٨٦. العيارون في اللغة، جمع عيار كثير التجول والطواف الذي يتردد بلا عمل، يختلي نفسه وهواها والمعار بالكسر: الفرس الذي يحيد عن الطريق براكبه، والعيار، الكثير الذهاب والمجيء، وهو الذكي كثير التطواف، ابن منظور، محمد ابن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، ط١، دار صادر، بيروت، ج٤، ص٦٢٢-٦٢٣. سيشار إليه لاحقاً: ابن منظور: لسان العرب، أما اصطلاحا، فهم فئة من عامة الناس يعيشون على هامش المجتمع منهم التجار الذين يتاجرون بأرذل التجارات وصغار الحرفين ممن يحترفون الحرف الحقيرة، وغيرهم كالمحتالين والشحاذين والمغامرين والفساق واللصوص وارباب السجون ممن لا يقيمون وزنا لعرف أو عادة أو تقليد أو شريعة، وينظر اليهم من جانب التاريخ السياسي بأنهم خارجون على القانون . وتمثل حركاتهم انتفاضة غوغائية يقودها الأرذال ضد الحكام والشرعية ليعبروا عن سوء أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للفت أنظار المسؤولين، بينما ينظر إليهم عامة الناس بأنهم أصحاب حركة ثورية شعبية يستحقون الاحترام والإعجاب. انظر عبد المولى، محمد أحمد، **العيارون والشطار البغاددة**، ط ٢، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ٣٧-٤٢. سيشار إليه لاحقاً: عبد المولى: العيارون والشطار؛ انظرالنجار، محمد رجب، **حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي**، عالم المعرفة،الكويت، ١٩٨١،ص٨ وما بعدها.
٨٧. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٥١؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٥؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧١.
٨٨. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٥. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٨.

وكان الملك عزالدولة بختيار يعتقد أن الفتنة ستسكن بحضوره إلى بغداد، إلا أنها زادت سوءاً مما اضطر إلى قمعها بإجراءات قاسية، تمثلت بإشعال النار في الجانب الغربي من بغداد، وذلك يوم الأربعاء(٢٨ رمضان ٣٦٢هـ-/٢ تموز ٩٧٣م) ومنع الناس من إطفائها، فاحترق أعداد كبيرة من "الدكاكين والدور والمساجد ومن بها من الرجال والنساء والصبيان والحيوانات، ومن نجا منهم انتقل إلى الجانب الشرقي من المدينة لأنه كان مستقرا"[٨٩]. وقبض على ثمانية عشر رجلاً من العيارين وقادة الفتنة، فقتل أربعة منهم وأمن الباقين، ووعدهم بالأعطيات ليضمن إنهاء الفتنة، وكف البلاء عن أهل بغداد[٩٠].

ويبدو أن الملك عزالدولة بختيار أصبح في ضائقة مالية، فقد طالبته الجند برواتبهم وأرزاقهم،[٩١] فأرسل إلى الخليفة المطيع يشعره بحاجته للمال، متذرعاً بإخراجه في سبيل جهاد القوات البيزنطية،[٩٢]وأكد له أن ذلك "واجب على الإمام"[٩٣].

لكن الخليفة أجاب قائلاً: "إن الغزاة والنفقة عليها وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني، إذ كانت الدنيا في يدي، وتجبى إلي الأموال، وأما إذا كانت حالي هذه، فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم من البلاد في يده وليس لي إلا الخطبة، فإن شئتم أن أعتزل فعلت"[٩٤].

وقد انعكس الوضع الذي آلت إليه سلطة الخلافة العباسية آنذاك، وضياع هيبتها، انعكس على عدم الاستقرار، وغياب الأمن وانتشار الفوضى والفتن في الديار الإسلامية، وأشغالها عن التصدي للطامعين بها، وجعل الغزاة يستغلون الضعف والوهن الذي أصبحت عليه الديار الإسلامية ، فغزوها طامعين بانتزاعها دون أن تجد من يقف صامداً في وجوههم.

ويبدو أن الخليفة المطيع انصاع لتلبية طلب الملك عزالدولة بختيار، لعدة أسباب: **أولا:**تذرع الملك عزالدولة بختيار بأن الأموال ستنفق على تجهيز الجيوش بهدف مواجهة القوات البيزنطية التي كانت تجوب ديار بكر من الجزيرة الفراتية.

ثانيا: خشية الخليفة من رسائل التهديد والوعيد التي أرسلت اليه[٩٥].

ثالثا: لم يستطع الخليفة أن يتوانى عن القيام بواجبه تجاه المسلمين، دون أن يدفع المبالغ المالية

٨٩. علما بأن الأنطاكي يذكر أن هذا التاريخ يصادف يوم السبت والحقيقة يصادف يوم الأربعاء المثبت في المتن. الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٥١؛ الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١١- ٢١٢؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٠؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٥١-٣٨٠)، ص٣٤٨ ؛ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٣، ص٣٩.

٩٠. تاريخ الأنطاكي، ص١٥١. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٧.

٩١. المصدر نفسه، ص١٥١.

٩٢. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٠؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٢؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧٢.

٩٣. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٧.

٩٤. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣١؛ انظر:مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٧؛ الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١١؛أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٢؛ ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج١، ص٤١١.

٩٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٨ ؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٠.

التي كاف بدفعها في سبيل حركة الجهاد الإسلامي.

ولذلك فقد اضطر الخليفة إلى بيع بيته وأثاثه وثيابه، لتوفير المبلغ الذي قدر بأربعمائة ألف درهم[٩٦]. وقد شاع بين العامة أن الخليفة صودرت أمواله[٩٧].

وجمع الملك عزالدولة بختيار أموالاً طائلة بحجة الغزو وإنفاقها على الجند، فقد أمر السعاة والجباة بعد أن سماهم العمال، وأجرى عليهم الأرزاق، بجمع الأموال، وأمر حاشيته وأتباعه بمصادرة الرعية، والتجار من أهل الذمة، وأهل الملة، ووجهاء بغداد،[٩٨] فكثر الدعاء عليه في المساجد والكنائس والمجالس والطرقات، فأشرف العامة على السلب والنهب حتى بطلت الأسواق، وانقطعت المعايش، وتعذر على الناس الخروج وأصبحوا وكأنهم في حصار[٩٩].

وقد اختلفت المصادر الأولية في أوجه صرف الأموال التي جمعها الملك عزالدولة بختيار، فبعضها يشير إلى أنه جهز بها القوات وأرسلها إلى الجزيرة لمواجهة القوات البيزنطية[١٠٠] المقيمة فيها، وتؤكد المصادر أن هذه القوات حققت انتصاراً عظيماً على القوات البيزنطية. ويؤكد الصابئ أن القوات التي تم حشدها من قبل الملك عز الدولة بختيار سارت إلى أبي تغلب، وحققت انتصارا عظيما على البيزنطيين[١٠١]. بينما تذهب المصادر الأخرى إلى أن الملك عزالدولة بختيار "صرف الأموال في أوجه مصالحه، وأبطل حديث الغزاة"[١٠٢].

وستوضح الأحداث إن كان الملك جهز بالأموال التي جمعها جيشاً لمواجهة القوات البيزنطية أم لا؟ ومهما يكن الأمر فإن القوات البيزنطية التي اجتاحت أراضي الجزيرة الفراتية قد أغرقت سكانها بالفوضى والفتن، وامتدت إلى بغداد حتى عمها الخراب والدمار، ويبدو أن الدمستق مليح قائد القوات البيزنطية كان يدرك الأوضاع التي آلت إليها بغداد، وانشغال القوات الإسلامية في إخماد نار الفتنة فيها، فأخذ ينطلق من قاعدته في هنزيط ويهاجم أراضي ديار بكر دون أن يجد

---

٩٦. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٠؛انظر: الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١١؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٨؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٢؛ ويذكر الأنطاكي، أربعمائة وعشرين ألفاً، الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٥١؛ انظر الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٥١-٣٨٠)، ص٢٤٨؛ تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٤١١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٦٦؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١،ص٢٧٢.

٩٧. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٨؛ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٠؛ تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٤١١؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٥١-٣٨٠)، ص٣٤٨؛ ابن كثير، **البداية**،ج١١، ص٢٧٢.

٩٨. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٨؛ تاريخ الأنطاكي، ص١٥١.

٩٩. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣٠٨.

١٠٠. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤، ص٣٦٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٣٥١-٣٨٠)، ص٣٤٨؛ الذهبي، **العبر**، ج٢، ص١١٢؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١،ص٢٧٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص٦٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٣، ص٤٠.

١٠١. الصابئ، **المختار** ،ص٧٢.

١٠٢. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٠؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٢؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧٢.

من يقف أمامه ليصده عن أفعاله وأعماله.

- **هزيمة الدمستق مليح ونتائجها**

لقد أدى اعتزاز الدمستق مليح وافتخاره بالانتصارات التي حققها في الجزيرة الفراتية، إلى أن يتجرأ على مهاجمة مدينة آمد[١٠٣] (Amid)، ، فارضاً الحصار عليها في شهر (رمضان ٣٦٢هـ/حزيران٩٧٣م)[١٠٤].وقد قدرت القوات البيزنطية بخمسين ألف رجل منهم عشرون ألفا من المدججين بالسلاح وذوي الرتب العالية ومن مقدميهم[١٠٥].ولعل تحصيناتها حالت دون استيلاء القوات البيزنطية عليها كما هو واضح في شكل (٢).

ويذهب المؤرخ الأرمني متى الرهاوي إلى أن المدينة كانت تعود ملكيتها إلى شقيقة سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد ا أبو الهيجاء حفيد حمدان بن حمدون، أمير قبيلة تغلب صاحب حلب[١٠٦]. بينما تقف المصادر الإسلامية صامتة حول ملكية المدينة، وتكتفي بالإشارة إلى أن الذين تولوا حركة التصدي لقوات الدمستق، أمير الموصل أبو تغلب، وشقيقه هبة ا أبناء ناصر الدولة بن الحسن بن عبيدا بن حمدان بن حمدون،[١٠٧] بدعوة من صاحبها هزار مرد مولى أبي الهيجاء حفيد حمدان بن حمدون، كما تشير المصادر السريانية[١٠٨] ويؤيدهم بالرأي الهمذاني (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)، وابن الأثير (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، وسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، وابن كثير (٧٧٤هـ/١٣٧٢م)[١٠٩].

ويبدو أنه لا يوجد تناقض فيما تشير إليه المصادر الأرمنية والسريانية والإسلامية، وإنما ما ورد فيها من معلومات جاءت مكملة لبعضها بعض، ولعل الأمر يتضح إن كانت شقيقة سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد ا أبي الهيجاء حفيد حمدان بن حمدون متزوجة من هزار مرد مولى أبي الهيجاء حفيد حمدان بن حمدون، وإن مدينة آمد تحت حكمهما، وبدورهما بعثا يستنجدان بأبي تغلب

---

١٠٣. آمد: بكسر الميم، مدينة قديمة كانت تعرف باسم نيكرانوسيرت (Tigraanocerte) وهي قصبة ديار بكر وتعرف اليوم باسم(دياربكر) من الأراضي التركية ، بنيت من الحجارة السوداء، تقع على نهر دجلة وتشكل في بنائها هلالاً حول دجلة، تكثر فيها العيون والينابيع والآبار والبساتين، وتكثر فيها الشعاب والوديان. ويشير ابن حوقل إلى أهمية تحصيناتها في الدفاع عن المدينة بشكل عام، انظر ابن حوقل، صورة الارض،٢٠١؛ ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج٣، ق١، ص٦، ٢٥٣؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٥٦-٥٧.

١٠٤. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1,P. 7 ؛ الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١١ ؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٦؛ابن كثير، **البداية**، ج١١،ص٢٧٣؛ ابن خلدون، **العبر**، م٤، ص٥٢٨.

١٠٥. الصابئ، **المختار**، ص٧٢.

106. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p.12.

١٠٧. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢، تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٤١٣؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام** (٣٥١-٣٨٠)، ص٢٤٩.

١٠٨. ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص٦٧؛ ابن العبري، غريغورس الملطي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، **تاريخ مختصر الدول**، دار المسيرة، بيروت، ص١٦٩؛ اسطفان الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، تحقيق الأباتي بطرس فهد، بيروت، ١٩٧٦م، ص٦٨، سيشار إليه لاحقاً: الدويهي: تاريخ الأزمنة.

١٠٩. الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١١ ؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٦؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٧؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧٣.

وشقيقه هبة ا أحفاد حمدان ابن حمدون[١١٠].

لقد حشد أبو تغلب أمير الموصل قواته بقيادة شقيقه أبي القاسم هبة ا بن ناصر[١١١] الدولة بن حمدان، وانضم إليه العامة، وأهل الثغور الإسلامية،[١١٢] وتقدم إلى آمد حيث القوات البيزنطية المحاصرة للمدينة، التي كانت تنتشر في نواحي هنزيط، ومعابر الفرات، وماليليها من ديار بكر[١١٣].

ويذكر الصابئ أن القوات التي تولى قيادتها هبة ا ، كان معظمها من الرجال الذين أمدهم به الملك عز الدولة بختيار، ويصفهم بأنهم " كانوا أقوى تلك الطوائف المجتمعة لديه وأولاها بعائدة النصر والظفر عليه، وفيمن انضوى إليهم من قبائل الأعراب وصناديدها، وفتاك الأكراد وصعاليكها، وساروا بصدور منشرحة، وأمال منفسحة".[١١٤]ويؤكد الصابئ أن هبة ا وصل بقواته ظاهر آمد يوم الثلاثاء ٢٧ رمضان ٣٦٢هـ/١ تموز٩٧٣م، وتأكد له أن الدمستق قد استولى على ضواحي هنزيط ودروب (طرق) الفرات، والمناطق التي تليها، فأقامت القوات الإسلامية ليلتها في ظاهر آمد والقوات البيزنطية تقيم عنهم مسافة يوم[١١٥] .



شكل(٢) مدينة آمد. المصدر:Google Earth,2008

١١٠. ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧٣؛ ابن **العبري**، تاريخ مختصر الدول، ص١٦٩؛ ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص٦٧؛ اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٦٨. سيشار إليه لاحقاً: الدويهي: تاريخ الأزمنة.

١١١. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢؛ ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص٦٧؛ الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٦؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٧؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٣؛ ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص١٦٩؛ ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج١، ص٤١٣؛ ابن خلدون، **العبر**، م٤، ص٥٢٨.

١١٢. الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١١.

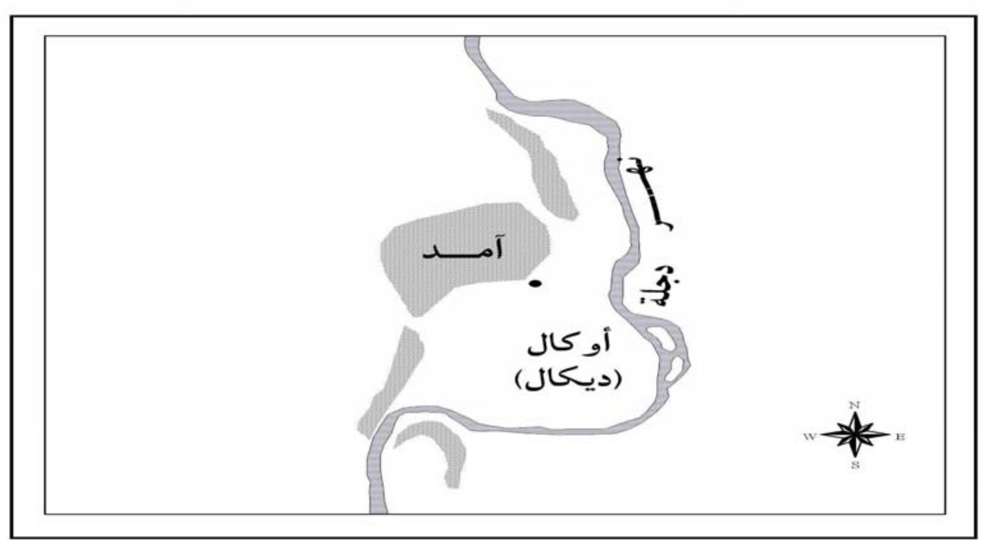
١١٣. الصابئ، **المختار**، ص٧٠؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٧.

١١٤. الصابئ، **المختار**، ص٧٢.

١١٥. المصدر نفسه،٧٢. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٧ .

واستطاعت القوات الإسلامية فتح ثغرة في صفوف القوات البيزنطية أمام أبواب المدينة، مما أدى إلى فرار مجموعات كبيرة من قوات الدمستق مليح، ويصف متى الرهاوي هذه المجموعات بأنهم غير مخلصين، وقد ألحقت القوات الإسلامية بهم خسارة جسيمة بعد معركة فاصلة، انسحب على أثرها الدمستق مع قواته جنوب شرق مدينة آمد إلى مكان يدعى أوكال (Aucal) ويعرف الآن باسم ديكال (Dicle) على ضفاف نهر دجلة بعيداً عن منال سهام قوات مدينة آمد، وعسكر فيه[١١٦]، ويبلغ أقصى مدى للوادي بين الأبواب الشرقية للمدينة ونهر دجلة ٣١٥٠م ، ولعل هذا المكان أحد الشعاب والوديان التي تشتهر بها مدينة آمد، بحكم موقعها،[١١٧] ويصف مسكويه المكان بأنه ضيق تصعب الحركة فيه مع القوات والعدة والخيل التي كانت برفقة الدمستق[١١٨].

وبالاعتماد على برنامج Google Earth فأن مساحة الوادي تبلغ في أقصى اتساعها (١٩٠٠م×١٨٠٠م=٣٤٢٠٠٠٠م٢)، وهذه المساحة محصورة بين أسوار مدينة آمد الشاهقة من الجهة الجنوبية الشرقية ونهر دجلة الذي يشكل هلالا على الوادي، كما هو واضح في الشكلين (٣،٤) .



شكل (3) موقع وادي اوكال (ديكال) من مدينة "امد"

116. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1,P. 7-8

١١٧. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٥٦.

١١٨. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢؛ الصابئ، **المختار**،ص٧٣؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٦،ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص١٦٩. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٧.



شكل(٤) وادي أوكال(ديكال).

المصدر:Google Earth,2008

ويبدو أن المكان شل حركة القوات البيزنطية رغم عددها وعدتها، ومع أنه يجب أن تكون بهذا العدد والعدة قوة ضاربة، إلا أنها أصبحت عبئا على حركتها، ولم تعد تجدي نفعاً في مثل هذه الأماكن الضيقة، حيث حد المكان من حركة القوات، وبخاصة بعد أن انشغلت القوات بتضميد جراحها أثر الهزيمة التي ألحقت بها أمام أبواب مدينة آمد،[١١٩] ولذلك لم تعد متأهبة للخوض في معركة جديدة مع القوات الإسلامية التي تطاردها[١٢٠].

وبتتبع الأحداث المتوافرة بين طيات المصادر الأولية، يتضح أن القوات الإسلامية كانت تطارد الدمستق مليحا، وقواته، حتى المكان المشار إليه؛ وأدركت الوضع السيئ الذي آلت إليه قوات الدمستق بعد هزيمتهم على أبواب آمد، وازدياد وضعهم سوءاً، بوجودهم في الشعب الضيق الذي قيد حركتهم، وجعل هزيمتهم أمرا محتوما أمام القوات الإسلامية. مع أن المصادر الإسلامية لم تذكر إلا اليسير من المعلومات عن تفاصيل هزيمة الدمستق، غير أن المؤرخ الأرمني متى الرهاوي، قدم معلومات دقيقة غطت جوانب مهمة من أحداثها.

وبينما كانت قوات الدمستق مليح تضمد جراحها في المضيق على نهر دجلة حلت بهم كارثة ثانية، فقد هبت ريح عاتية أثارت الغبار عليهم ورمت بأمتعتهم في دجلة، وانغمست قواتهم وحيواناتهم بظلام دامس، ولم يعد بإمكانهم الرؤية أو إيجاد مخرج لهم من الوضع المريع[١٢١].

---

١١٩. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢ ؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٦؛ ابن **العبري**، تاريخ مختصر الدول، ص١٦٩؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧٣؛ تاريخ ابن خلدون، م٤، ص٥٢٨؛ تاريخ الأزمنة، ص٦٨.

١٢٠. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٦؛ ابن **العبري**، تاريخ مختصر الدول، ص١٦٩ ؛ ابن خلدون، **العبر**، م٤، ص٥٢٨؛ الدويهي: تاريخ الأزمنة، ص٦٨.

121. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 8.

وأدركت القوات الإسلامية الوضع الذي آلت إليه القوات البيزنطية،[١٢٢] فانقضوا عليهم وأنفذوا فيهم مجزرة رهيبة، ولم يجد الفرار نفعاً مع القوات البيزنطية، فأبادت القوات الإسلامية جمعاً غفيراً منهم، وأسروا قائدهم الدمستق،[١٢٣] وأربعين من قادتهم[١٢٤]، وتحدد المصادر يوم الجمعة (٣٠ رمضان ٣٦٢هـ/ ٤ تموز٩٧٣م) تاريخاً للمعركة[١٢٥].

ويصف الصابئ المعركة قائلا:" فثبت الطغاة اغترارا بوفور أعدادهم ومحاماة عن صاحبهم وعظيم كفرهم، وأخذ الأولياء الملحمة، وعلت الغمغمة، ودارت رحى الحرب، واستحر الطعن والضرب، وشنجرت سمر الرماح وتصافحت بيض الصفاح، وتداعى الأولياء بشعار أمير المؤمنين المنصور، وتنادى الكفار بالويل والثبور، فنكصوا على أقدامهم مجدين في الهزيمة، واعتدوا الحشاشات(بقية الروح) لو سلمت لهم من أعظم الغنيمة، واستلحمتهم السيوف واحتكمت فيهم الحتوف، وأخذ المسلمون منهم الثأر، وعجل ا بأرواحهم إلى النار وأسر بعد قتل ألوف منهم في المعركة، الدمستق رئيس عساكرهم وقائدهم ومدبر حروبهم ومرتبها وما أخذ المسلمون قبله دمستقا"[١٢٦].وتم أسر ابن البلنطس وهو نائب الدمستق في قيادة الجيش، ورسوله في المواثيق ورسم السياسات والمعاهدات، كما تم أسر " جماعة من البطارقة[١٢٧] والزواورة[١٢٨] والأراخنة[١٢٩] والطراخنة[١٣٠] "[١٣١].

---

122. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1,p. 8

١٢٣. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1,P. 8 ؛ مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢؛ تاريخ الأنطاكي، ص١٤٩؛ ابن **العبري**، تاريخ مختصر الدول، ص١٦٩ ؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٣؛ ابن كثير، **البداية**، ج١١، ص٢٧٣؛ تاريخ ابن خلدون، م٤، ص٥٢٨؛ تاريخ الأزمنة، ص٦٨. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٧ ؛ Schlumberger, L'Epope'e,vol.1,p.230.

124. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1,p. 8

١٢٥. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٦؛

١٢٦. الصابئ، **المختار**،ص٧٢-٧٣.

١٢٧. البطريق:قائد عسكري روماني يتولى قيادة عشرة آلاف رجل،وعددهم في الإمبراطورية البيزنطية اثنا عشر بطريقا ، ستة منهم تحت أمرة الإمبراطور وستة يتم توزيعهم مع جندهم في كور الإمبراطورية، ويعرف كبير البطارقة باسم الدمستق. الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص١٥٢-١٥٣، ١٥٧-١٥٨.

١٢٨. الزواورة:يقال هذا زُوير القوم أي رئيسهم والزوير زعيم القوم وآمرهم وبأيديه رجال لا هوادة بينهم يسوقون للموت،ابن منظور، **لسان العرب**،ج٤، ص٣٣٣-٣٣٨.ولعل الزواورة هم وجهاء الدولة البيزنطية وأسيادهم وأصحاب الرأي والمشورة الذين كانوا برفقة الدمستق.

١٢٩. الاراخنة،مفردها الارخن، وهو الشخص المسؤول في مجتمعه، وله مكانة ومركز سياسي واجتماعي وعلمي، ومع أنه لم يحصل على أي رتبة كنسية إلا أن له دراية في الأمور الكنسية واللاهوت والكتاب المقدس، لدرجة أن أهميته يمكن أن توصله إلى مرتبة بطريرك ولكن من غير تتويج، ولذلك كان يعتمد عليه في تقديم المشورة والنصح لأصحاب الرتب العسكرية والدنية. أنظر مقالة في نادي الفكر العربي، ضمن الموقع http://WWW.nadyelfikr.net/index.php

١٣٠. الطراخنة، مفردها طرخان، الرجل الشريف ذو مكانة اجتماعية رفيعة بلغة أهل خرسان،ويأتي تحت أمرة البطريق ويتولى قيادة خمسة الآف رجل. ابن منظور، **لسان العرب**، ١٥ج، ط١، ج٣، ص٣٨. الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص١٥٢-١٥٣.

١٣١. الصابئ، **المختار**،ص٧٣.

وبالعودة إلى صحة إرسال الملك عزالدولة بختيار للقوات، فإن تاريخ المعركة يؤكد بأنه لم يرسل أي قوات تذكر إلى الجزيرة الفراتية، ويبطل ما أشارت إليه المصادر الإسلامية من أن الملك أرسل قوات حققت انتصارات على القوات البيزنطية، وأسرت قائدها وألحقت هزيمة فادحة بها، لأن تاريخ الهزيمة جاء بعد يوم من تاريخ الفوضى والفتن واشتعال النار في بغداد، والذي يصادف يوم الخميس (٢٩ رمضان ٣٦٢هـ/٣ تموز ٩٧٣م) فكيف والحال أن يرسل قوات لنجدة سكان الجزيرة الفراتية، وهو الذي أمر قواته بإخماد الثورة والفتن بإشعال النيران في بغداد[١٣٢].

أما ما أشار إليه الصابئ في الرسالة حول القوات التي التحقت بالقائد هبة ا ، فلعلها القوات المتطوعة من الأعراب والأكراد وأهل الطوائف، لان الرسالة لم تشر إلى الديلم والأتراك إطلاقا، كون القوات النظامية كانت تتألف آنذاك منهم، وهذه القوات كانت مشغولة في إخماد الثورة في بغداد .

لقد أعز ا الإسلام بهذا النصر، فكثر القتل والأسر في صفوف القوات البيزنطية[١٣٣]، فغنم المسلمون غنائم جليلة من السلاح والعدد،[١٣٤]عادوا بها إلى مدينة آمد وبرفقتهم الأسرى وعلى رأسهم الدمستق مليح[١٣٥].

وقد استولى المسلمون على العديد من الخيول والأسلحة وغنموا من عدة القوات البيزنطية ما زاد من قوتهم واشتدت به شوكتهم[١٣٦]، وقد انعكس هذا الانتصار على سكان الثغور والجزيرة الفراتية، فقد انتشروا في البلاد وسلكوا في الطرقات يبحثون عن معايشهم آمنين مطمئنين، ويجمعون غلات أرضهم دون خوف أو رهبة[١٣٧].

ويتضح من تاريخ المعركة أن القوات الإسلامية عبرت عن فرحتها ونشوة انتصارها في مدينة آمد باستقبالهم عيد الفطر بانتصارهم العظيم، وقد سير الدمستق يوم الأحد (٢ شوال ٣٦٢هـ/٦ تموز ٩٧٣م) ثاني أيام عيد الفطر إلى مدينة الموصل[١٣٨]. وأرسل أبو تغلب الكتب والرسائل إلى الخليفة المطيع يبلغه ويبشره بنشوة النصر[١٣٩] الذي رزقهم ا به آخر أيام رمضان.

وكاتب أمير المؤمنين والملك عز الدولة بختيار أبا تغلب بان " يتناهوا في التوثيق من عدو ا الدمستق، ومن قرينه ابن البلنطيس، والوجوه المأخوذين معهما، المأسورين بأسرهما، وإنفاذ رؤوس من قتل من الأكابر، دون من يفوت الإحصاء من الاصاغر"[١٤٠].

١٣٢. الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص١٥١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٠؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات**، ج٣، ص٣٩.

١٣٣. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢؛انظر: **تاريخ الأنطاكي**، ص١٤٩.

١٣٤. الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص١٤٩. الصابئ، **المختار**، ص٧٤.Schlumberer, L'Epope'e,vol.1, p.230

١٣٥. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm, Vol.1, p. 8 الصابئ، **المختار**،ص٧٤.

١٣٦. الصابئ، **المختار**، ص٧٤.

١٣٧. المصدر نفسه، ص٧٤.

١٣٨. ابن **العبري**، **تاريخ الزمان**، ص٦٧؛ انظر:الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١١.

١٣٩. الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١١. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٧ .

١٤٠. الصابئ، **المختار**، ص٧٤.

وأرسل إلى بغداد رؤوس وأيدي بعض قتلى القوات البيزنطية[١٤١]، وبرفقتهم أربعون أسيراً من ضباط القوات البيزنطية إلى الخليفة[١٤٢] تعبيراً عن نشوة النصر، ويؤكد متى الرهاوي أن الأربعين أسيراً ماتوا جميعاً[١٤٣] ولم يحدد كيف؟.

وقد عزا متى الرهاوي هزيمة القوات البيزنطية كعادته إلى عقاب سماوي بسبب الغضب الإلهي عليهم لانغماسهم بملذات الدنيا وانشغالهم عن التصالح مع الرب والسعي إلى النصر[١٤٤]. ولعله أراد أن يبرر هزيمتهم، لأن قائدهم من أصول أرمنية، وبخاصة أنه يمتاز بروحه الوطنية ومشاعره القومية ونزعته الدينية في كتاباته[١٤٥]، في حين أكد أن نصر المسلمين كان بسبب وقوف ا إلى جانبهم بسبب مصالحتهم معه[١٤٦].

وتشير المصادر إلى أن أبا تغلب أخذ الدمستق مليحا أسيراً عنده في الموصل، لعله يستفيد من وجوده عنده ببناء جسر صداقة مع الإمبراطور البيزنطي، أو الاستفادة منه في الحد من غزو القوات البيزنطية أراضي بلاده ثانية[١٤٧]. ولذلك أحسن ضيافته وأكرمه[١٤٨]. وكان الدمستق قد ثار عليه جرح في جسده أثناء وجوده في الأسر، وقد اجتهد أبو تغلب في علاجه، فأحضر له الأطباء، إلا أن جميع محاولات علاجه باءت بالفشل، فمات[١٤٩] في شهر (جمادي الآخرة ٣٦٣هـ/آذار ٩٧٤م)[١٥٠].

وقد زعم المؤرخ الأرمني متى الرهاوي أن سبب التسامح الذي يمليه الدين الإسلامي على المسلمين في تعاملهم مع الأسرى البيزنطيين، هو خوف قادة المسلمين من غضب الأمة البيزنطية، إذا ما علمت ما حل بقواتها، إذ أشار إلى أن قادة المسلمين، عندما شاهدوا ما حل بالدمستق وقواته، خشوا الأمر، فقالوا: "إن الدم الروماني الذي أرقناه لا يجدينا نفعاً، فهذه الأمة ستنقض علينا وتبيد جنس المسلمين، ولذلك علينا أن نتصافح، ونبني جسور صداقة ونتحالف مع القائد الروماني،

---

١٤١. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٤، انظر: الصابئ، **المختار**،ص٧٤. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ص١٧٧ .

142. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 8

143. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 8

144. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 8

145. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 8

146. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 8

١٤٧. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢-٣١٣؛ ابن **العبري**، **تاريخ الزمان**، ص٦٧.

١٤٨. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ،ص١٧٧ ؛ ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص٦٧.

١٤٩. مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص٣١٢؛ الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، ص٢١١؛ ؛ أبو الفداء، **تكملة تاريخ الطبري**، ج١، ص٤٥٣؛ ابن العبري، **تاريخ الزمان**، ص٦٧؛ ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص١٦٩. سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ، ص١٧٧ ؛ .Schlumberger, L'Epope'e,vol.1, p.231

١٥٠. تاريخ الأنطاكي، ص١٤٩؛ ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص١٦٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٣٦؛ تاريخ ابن خلدون، م٤، ص٥٢٨؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، ص٦٨.

والضباط الذين وقعوا في قبضتنا، فبعد أن يؤدوا اليمين نتركهم يرجعون بسلام إلى ديارهم"[١٥١].

ومهما تكن تعليقات متى الرهاوي، فإن العلاقة التي بنيت بين أبي تغلب والدمستق مليح، فسحت المجال أمام الدمستق أن يحصل على قدرٍ كافٍ من الحرية في الأسر، لدرجة أنه استطاع أن يرسل رسالة للإمبراطور زيميسكس في القسطنطينية، يوضح له الأمر الذي آلت إليه القوات البيزنطية واللعنة التي حلت بهم، فكتب قائلاً: "إننا لا نستحق هذا الحكم وأن ندفن موتانا بموجب العادات المسيحية في أرض مقدسة، ولم ننل مثوى آخر لعظام موتانا سوى أرض ملعونة يدفن فيها الأشرار، كلا! نحن لا نعترف بسيد شرعي للإمبراطورية الرومانية المقدسة، إن الموت التعيس للجم الغفير من المسيحيين ودمهم المراق تحت أسوار آمد، وموتانا على أرض غريبة، أحملكم مسؤوليته وأشكوكم إلى الرب السيد المسيح يوم الحساب إذا لم تنتقموا من هذه المدينة انتقاماً مبيناً"[١٥٢].

ويبدو التحريض واضحاً من رسالة الدمستق للإمبراطور، وحثه على حرب المسلمين، ويحمله مسؤولية هزيمة القوات البيزنطية، وهذا ما يؤكد أن الإمبراطور هو الذي خاف الدمستق في أراضي المسلمين عندما جعله يتخذ من هنزيط قاعدة للقوات البيزنطية، للانطلاق على الأراضي الإسلامية[١٥٣].

ويؤكد في الرسالة عدم الاعتراف بشرعية الإمبراطور، إذا لم تستمر سياسة الفتوحات البيزنطية في الأراضي الإسلامية من خلال حشد القوات البيزنطية واجتياح أراضي المسلمين، للانتقام منهم، ويقترن مطلبه هذا بشكواه إلى الرب السيد المسيح إن لم يستمر بسياسة الفتوحات، ولعل هذا الربط يؤكد الاعتقاد السائد بينهم بفكرة الحرب الصليبية من خلال رفع راية الصليب في الحملات التي يجب أن يقودوها ضد المسلمين.

وقد أثارت رسالة الدمستق شجون الإمبراطور زيميسكس عندما تسلمها، فاستشاط غضباً كالنار التي تأكل كل شيء أمامها[١٥٤]. فدعا قادته وحشد الجيوش من جميع المناطق التابعة له في الغرب والشرق، وضم الجيش العديد من الجنسيات التي تستظل في حمى الإمبراطورية البيزنطية، وقصد في العام نفسه الديار الإسلامية، فاجتاح الثغور الشامية والجزرية وعرج على الجزيرة الفراتية، وقصد الساحل الشامي حتى حدود بيت المقدس، وحقق انتصارات عظيمة فرض فيها الإتاوات والجزية والخراج على العديد من الأمراء المحليين من المسلمين، وعقد معهم معاهدات سياسية واقتصادية، وأناب عنه في بعض المناطق أمراء منهم، وقد جسدت هذه الحملة البدايات الأولى للحروب الصليبية، إذ أعلن خلالها رفع راية الصليب ضد المسلمين[١٥٥].

---

151. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 8

152. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 8

١٥٣. الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، ص١٤٨-١٤٩.

154. Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 8. Schlumberger, L'Epope'e, vol.1, p.232.

١٥٥. انظر Matthieu d'Edessa in R.H.C-D.Arm,Vol.1, p. 9-20

The Military Campaign of Domesticus Mleeh in the Euphrates Basin (Dhul Hijjah 361 AH. / October, 972 AD)

*Mahmoud M. al-Rowaydi**

ABSTRACT

Seeking to take advantage of Islamic conflict and sectarian disorder in the Euphrates Basin and in Bilad Al-Sham, the Byzantine Empire tried to realize its longstanding ambitions to occupy the region and to exploit its wealth and resources. On Dhul Hijjah 361H/1 October 972 AD, the Byzantine Emporer Zinisces entrusted an Armenian general, Domesticus Mleeh, with the task of leading a military expedition to the Basin, with the objectives of exterminating much of the indigenous population, taking hostages of those who survived, and looting and plundering its towns and villages. A mass exodus ensued, during which many sought the aid and support of their caliphates, imploring them not to forget their obligations towards fellow Muslims. The army of Domesticus was eventually defeated by a Muslim alliance at the city of al-Musel, Domesticus and his subordinate commanders were captured, and the ambitions of Zinisces were thwarted. To seek revenge on the Muslim coalition, Zinisces organized another military campaign, this time portraying it as a holy crusade under the emblem of the Christian cross.

Keywords: Military campaign, Domesticus Mleeh, Euphrates Basin, Byzantine-Muslim.

.

* Dept. of History, Faculty of Social Sciences, Mu'tah University, Al-Karak, Jordan.
Received on 27/4/2008 and accepted for publication on 11/9 /2008.